Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السادس - العدد السادس عشر || تاريخ الإصدار 2026-07-20

واقع الشباب المسلم بين الإلحاد والتوحيد في التاريخ المعاصر

The Reality of Muslim Youth Between Atheism and Monotheism in Contemporary History

م.م. هند يوسف مسعود

Asst. Lect. Hind Yousif Masoud

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- الجامعة العراقية- كلية العلوم الاسلامية

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss61644

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:
يتناول هذا البحث واقع الشباب المسلم في ظل التحديات الفكرية المعاصرة، مع التركيز على العلاقة بين التوحيد والإلحاد بوصفهما اتجاهين مؤثرين في تشكيل الهوية الدينية والفكرية للشباب. ويهدف إلى بيان مفهوم الشباب والإلحاد والتوحيد، وتحليل أبرز العوامل التي تدفع بعض الشباب نحو الإلحاد، أو تعزز تمسكهم بعقيدة التوحيد. كما يناقش البحث أثر العولمة، ووسائل الإعلام، وضعف التربية العقدية، والجهل الديني، والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تكوين الاتجاهات الفكرية لدى الشباب. ويؤكد على أهمية ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتعزيز الوسطية والاعتدال، وتطوير الخطاب الديني والتربوي؛ بوصفها وسائل فعّالة لحماية الشباب من الانحراف الفكري وتعزيز هويتهم الإسلامية. ويخلص البحث إلى أن بناء الوعي الديني القائم على الفهم الصحيح للتوحيد، إلى جانب معالجة التحديات الفكرية والاجتماعية، يُعد من أهم السبل لمواجهة ظاهرة الإلحاد والحد من انتشارها بين الشباب المسلم.

الكلمات المفتاحية: الشباب المسلم، الإلحاد، التوحيد، الهوية الدينية، الوعي الديني، الانحراف الفكري.

Abstract:

This study examines the reality of Muslim youth in light of contemporary intellectual challenges, focusing on the relationship between monotheism (Tawhid) and atheism as two influential orientations shaping the religious and intellectual identity of young people. The study aims to clarify the concepts of youth, atheism, and monotheism, and to analyze the major factors that lead some Muslim youth toward atheism or reinforce their adherence to the doctrine of Tawhid. It also discusses the impact of globalization, mass media, inadequate religious education, religious ignorance, and socio-political and economic conditions on the formation of young people's intellectual orientations. Furthermore, the study emphasizes the importance of strengthening sound Islamic belief, promoting moderation and balance, and developing religious and educational discourse as effective means of protecting youth from intellectual deviation and reinforcing their Islamic identity. The study concludes that fostering religious awareness based on a correct understanding of Tawhid, alongside addressing contemporary intellectual and social challenges, is among the most effective approaches to confronting atheism and limiting its spread among Muslim youth.

Keywords: Muslim Youth, Atheism, Monotheism, Religious Identity, Religious Awareness, Intellectual Deviation.

المقدمة

يعد الشباب محور أي مجتمع ، فهم الطاقات الفاعلة والقوة الدافعة للتغيير والتقدم ، وفي المجتمع المسلم يمثل الشباب النواة الأساسية للحفاظ على الهوية الدينية والثقافية ، ومع ذلك يواجه الشباب المسلم في التاريخ المعاصر موجات من الفكر الإلحادي التي تهدد ثباته الديني ، ويمرُّ بمرحلة خطيرة من الضياع في الهوية الدينية؛ وذلك لأنَّ التغيرات المتسارعة في عصرنا أدت إلى حالة من التمزيق والضياع، بينما يظل التوحيد ركيزة أساسية لتعزيز الوعي الديني وحماية الفرد والمجتمع من الانحراف الفكري[11] .

لقد انتشر الملحدون في هذا العصر حتى أصبح الإلحاد يمثل ظاهرة سيئة في العالم بشكلٍ عام ، وفي المجتمعات الإسلامية بشكلٍ خاص ؛ ولذلك فقد استهدفتُ في دراستي هذهِ معرفة مفهوم الإلحاد وتاريخ ظهوره وانتشاره ، فضلاً عن أسباب الإلحاد في العصر الحاضر والتحديات في مواجهتهِ ، والإشارة إلى أهم الحلول لتعزيز مفهوم التوحيد من أجل مكافحة الإلحاد والقضاء عليه .

[1] ينظر : الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه – دراسة تحليلية – عبد العزيزسعد المحمدي (رسالة ماجستير) 1434هـ - 2013م .

وتنبثق إشكالية هذا البحث من التساؤل الآتي : **كيف يتأثر الشباب المسلم بالإلحاد أو التوحيد في العصر الحاضر ؟ وما هي العوامل التي تزيد من الميل نحو كلٍّ منهما ؟**

وتندرج أهداف البحث في :

1. دراسة واقع الشباب المسلم بين الإلحاد والتوحيد .
2. تحليل العوامل المؤثرة على توجهات الشباب الفكرية والدينية .
3. تقديم سبل تعزيز الوعي الديني بين الشباب .

وقد تقسَّمت دراستي هذه على أربعة مباحث :

المبحث الأول : تضمَّن الإطار المفاهيمي للمصطلحات المستخدمة في الدراسة .

المبحث الثاني : تناولت فيه الكلام عن واقع الشباب المسلم في التاريخ المعاصر .

المبحث الثالث : أوضحت فيه أسباب الميل إلى الإلحاد والتحديات في مواجهة ذلك .

المبحث الرابع : بيان أهم سبل تعزيز التوحيد وكيفية مواجهة الإلحاد والحد منه .

وأخيراً ختمت الدراسة بخاتمة مناسبة وأهم النتائج والتوصيات .

المبحث الأول : الإطار المفاهيمي للمصطلحات المستخدمة

أولاً : مفهوم الشباب :

الشباب مرحلة حيوية بين الطفولة والرشد ، تتميز بالنشاط والحيوية والبحث عن الهوية.

الشباب لغةً : من شباب الشيء ، أي : قوَّته ونشاطه .

اصطلاحاً : هي الفترة العمرية التي تتراوح غالباً بين 15-30 سنة .

والمقصود بالشباب المسلم : هم الشباب المنتمون إلى المجتمعات الإسلامية ، الذين يختبرون تجربة الإيمان (التوحيد) أو االميل نحو الإلحاد والتشكيك .

خصائص مرحلة الشباب :

1. **نفسياً :** التطلع إلى الاستقلالية والتجربة .
2. **اجتماعياً :** البحث عن الانتماء والقبول الاجتماعي .
3. **فكرياً :** القدرة على التحليل والتفكير النقدي .

أهمية الشباب في المجتمع والدين :

هم صناع المستقبل ، وحملة الرسالة الدينية والثقافية .

ثانياً : الإلحاد :

تعريف الإلحاد : مصطلح يشير إلى إنكار الاعتقاد بالله وبوجودهِ ، أو تبنِّي مواقف فلسفية أو علمانية ، تنسف دور العقيدة التوحيدية في حياة الفرد، أو تجعلها هامشاً .

أنواعه :

1. الإلحاد الفكري : إنكار وجود الله عبر الفكر والتحليل العقلي .
2. الإلحاد العملي : التصرف بدون مبادئ دينية .
3. إلحاد التطرف : مهاجمة الدين ومحاولة نشر الفكر الإلحادي .

ثالثاً : التوحيد وأثره في حياة الشباب :

التوحيد : يقصد به : الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتمسك بالعقيدة الإسلامية ، والقيم التي تنبني عليها ؛ لمواجهة تيارات الإلحاد .

أثر التوحيد في نفوس الشباب :

1. يمنحهم الثبات النفسي والأخلاقي .
2. يحميهم من الانحراف الفكري والاجتماعي .
3. يعزز المسؤولية الفردية والاجتماعية .

المبحث الثاني : واقع الشباب المسلم في التاريخ المعاصر

منذ بداية القرن العشرين ، ومع جلاء الاستعمار أو تراجعه في العالم الإسلامي ، شهدت المجتمعات تحوُّلات كبرى ، تمثَّلت بـ :

1. غزو فكري وحضاري وثقافي :

تمثَّل بالعولمة ووسائل التواصل والثقافة الاستهلاكية، فضلاً عن إنتقال القيم الغربية .

تأثير العولمة والتقنية على الشباب :

شهد القرن العشرون وما بعده تحديات كبيرة للشباب المسلم ؛ نتيجة العولمة والتغيرات الثقافية والسياسية ، فضلاً عن تأثير وسائل الإعلام والتواصل والشبكة العالمية (الإنترنت) ، التي تعرّض الشباب لأفكار متضاربة ، بعضها يحفِّز الإلحاد وبعضها يعزز الهوية الدينية، من جهة تعرَّضت المجتمعات الإسلامية لما يسمَّى " غربنة " أو " تغريب " في التعليم والثقافة ، ومن جهة أخرى نشأ جيل من الشباب يطالب بالهوية والدين وإعادة التوحيد والتمسُّك بالقيم .

2. غياب التعليم العقيدي الصحيح :

عندما لا يُفهَم التوحيد بطريقة واضحة ، أو يُعطى الدين كمجرد شكل لا محتوى ، ينشأ فراغ يُمكن أن يسوده الشك أو الانفصال .

إنَّ الجهل سبب لكل داء، والجهل بحقيقة الدين يؤدي إلى الخروج عن منهج الاعتدال، وبالتالي يؤدي إلى الانحراف؛ لعدم قدرة الجاهل على ربط الجزئيات بالكليَّات. ولخطورة الجهل نجد أنَّ القرآن الكريم يحذِّر منه، ويحثُّ على العلم، قال تعالى :**﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**[2] . فالآية تبيّن إنَّ أبرز صور الجهل هو القول على الله بغير علم . ويقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: " سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الاسنان سفهاء الأحلام ..... " [3] .

[2] الاسراء : 36 .

[3] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، ج2، ص746-747، رقم (1771)

وهذا ما حدث ويحدث، إذ ظهرت الكثير من الشخصيات والفرق المنحرفة فكرياً، يلوون أعناق النصوص أو يتأولونها على غير وجهها، وهذا ممَّا لاشكَّ فيه يعد جهل بمقاصد الشرع، فينبغي اجتناب ذلك والتحذُّر منه . من جانبٍ آخر، فإنَّ الغالبية العظمى مِمَّن نفروا من الدين أو توجَّهوا للإلحاد في مجتمعاتنا كان نفورهم نتيجة التشدُّد الديني والاجتماعي الذي تربَّى عليه الفرد ، لذلك، فإنَّ الوسطية والاعتدال أبرز ما أكَّد عليه الله –عزَّ وجلَّ – في محكم كتابه الكريم، قال تعالى : **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾**[4] . **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾** [5] .

3. **الظلم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي:** وقلة آفاق الشباب ، كالشعور بالعجز أو التهميش الذي قد يدفع إلى التمرُّد أو البحث عن البديل .
4. **الاستبداد أو القمع أو المنع الاجتماعي :** أي : عندما يعتقد الشباب أنَّ الدين مرتبط بنظام قمعي أو لا يسمح بحريَّة قد ينفر .
5. **ظهور أنظمة سياسية علمانية و شيوعية** .

المبحث الثالث : مظاهر الإلحاد وأسباب الميل إليه والتحديات في مواجهتهِ

ظاهرة مخيفة انتشرت بين الشباب المسلمين ، بدأت مع المد الشيوعي في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي ، على استحياء لتعلو وتخفت في موجات فكرية واردة؛ لتصل ذروتها بعد انتشار الفضائيات ، ثُمَّ وسائل التواصل الاجتماعي التي أدت دورها؛ وذلك لسهولة التبادل الفكري بين الشباب بعضهم بعضاً ، داخلياً وخارجياً ، ألا وهي ظاهرة الإلحاد [6] .

المطلب الأول : مظاهر الإلحاد وأسباب انتشاره والميل إليه :

إنَّ ظاهرة الإلحاد بين الشباب المسلم المعاصر بدأت تأخذ أشكالاً متعددة ، ليس فقط الإنكار الصريح لوجود الله فحسب ، بل أيضاً الانزياح عن الدين كشكلٍ أو تقليد ، أو تحويل الدين إلى شكليات ، أو التمرُّد على القيم الإسلامية .

ولعلَّ من أهم الأسباب التي تدفع إلى الإلحاد ، تتمثل بالاستبداد في بعض البلاد العربية، والتضييق الحاد على فكرة الحرية الشمولية ، فكراً وممارسةً ، بدءاً من الاستبداد الأسري وانتهاءً بالاستبداد السياسي، وما يتبعه من حالة رفض مطلق لكل الثوابت الأخلاقية والعقيدية والسلوكية ؛ تعبيراً عن عدم القدرة على ممارسة الحرية الكاملة .

1. **أسباب اجتماعية :** تتمثل بالتربية الأسرية، ونوعية الخطاب الديني، والمناهج التعليمية، وإشكالية إزدواجية التعليم في بعض الأقطار الإسلامية بين التعليم العام والتعليم الديني .

- الاستبداد الأُسري ودورهُ في توسيع دائرة الإلحاد :

بما أنَّ التربية الأُسرية المبكرة هي المهيمن الأول في التكوين الأولي لشخصية الانسان بفكرهِ وهويتهِ وميولهِ وثقافتهِ ، وتشكيل مفاهيمهِ الأساسية ، فقد وجب التوقف عند دور الأسرة في تنامي ظاهرة الإلحاد وانتشارها ، فالأسرة هي المحضن والمؤسس والمُمهِّد لأرض خصبة وليدة ، تتلقى كل ما يصب فيها من قيم عبر تعاليم الوالدين وسلوكياتهما مع الأبناء، والعملية التربوية تتكون من جناحين : التربية بالتوجيه المباشر والتلقين ، والتربية بالقدوة والسلوك ، ولا يقل أحدهما عن الآخر في الأهمية ، كما أنَّ لها ركنين، وهما : الأبوان، لا يغني وجود أحدهما عن وجود الآخر، إلا في حالات استثنائية لا تمثل قاعدة .

إنَّ الأسرة التي تسير بمُربٍّ متسلِّطٍ مستبدٍّ في قوله وفعله، لا يخرج منها أفراد أسوياء، وإنما تصدِّر للمجتمع مشكلات مستقبلية مصابة بالاستبداد والتمرُّد والحنق، وربما التبعية والجمود وفقدان الهوية والوجهة، والأب المستبد ينفرد برأيه في اختيار كل ما يخص الأبناء، بدءاً من ملابسهم ، مروراً بنوعية طعامهم وأصدقائهم ، وانتهاءً بنوعية تعليمهم ، يحقِّق فيهم احلامهُ هو دون أحلامهم، ورغباتهِ دون رغباتهم، لا يسمح بمناقشة قضايا

[4] الاسراء : 29 .
[5] البقرة : 143 .
[6] مقال : (الشباب المسلم بين ظاهرتي الإلحاد والاستبداد) ، عزة مختار

تخصُّهم ولا يسمع لهم رأياً، وإنما هي قرارات واجبة التنفيذ، تطمس معالم شخصياتهم وتعجزهم عن كيفية اتخاذ قرار في مستقبل أيامهم، وتتضاعف الإشكالية سوءاً إذا كان الأب مشغولاً بتوفير لقمة العيش، ويحسب أنَّ التربية هي إنفاق مصاحَب العصا للعقاب المجرد؛ لعدم تنفيذ الأوامر، ليصبح البيت المورد الأكبر لنفوس معقَّدة بلا رسالة سامية أو هوية واضحة، وبما أنَّ الطفل يلاحظ الفعل أكثر ممَّا يتأثر بالتوجيه اللفظي، فيخرج مستبد صغير يمارس استبدادهُ على إخوانهِ الأصغر وزملائهِ ومجتمعهِ فيما بعد .

والجدير بالإشارة أنَّ هناك نموذجين يمثلان الأسرة :

الأول : نموذج أسري متدين تديُّناً متطرّفاً شكلياً، يعتمد الطقوس والتقاليد الدينية كمظهر فحسب، دون العمل بالمضمون، ممَّا يقدم للشباب صورة مشوَّهة عن الدين، وينشأ الفرد في تلك الأسرة مسلماً ظاهرياً، ملحداً داخلياً [7] .

الثاني : نموذج أسري منحرف، فيكون الفرد منحرفاً؛ نتيجة تأثره ببيئته وانحرافاتها الدينية أو الأخلاقية، وقد يكون في الغالب هيمنة النمط الغربي للسلوك على أفرادها، فتجدهم أمام شاشات التلفاز يشاهدون المسلسلات أو الأفلام التي تبث القيم الغربية المنافية للإسلام، أو يتابعون المباريات التي غالباً ما تتعارض أوقات إذاعتها مع مواقيت الصلاة، فتجدهم يضيعون الصلاة في سبيل إتمام المشاهدة والمتابعة[8] .

- ظاهرة النسوية وصلتها بالإلحاد :

وهناك ظاهرة استبداد أخرى مستحدثة في البيت المسلم ، تؤثر بشكلٍ مخيف على الناتج الأسري ، ألا وهي ظاهرة النسوية (FIMINIST) ، وتهدف في حقيقتها إلى تجريد المرأة من مهمَّتها الفطرية ومسؤوليتها المقدَّسة في تكوين بيت مسلم متوازن يرفع راية التوحيد ، وليس إلى حقوق المرأة – كما هو معلن – ، وهي تساوي في خطورتها تخلِّي الرجل عن كافة مسؤولياته نحو أسرتهِ . فيغادر الأبوان البيت تاركين خلفهما مسألة التربية لوسائل الاتصال والإعلام ، التي ساهمت في تشكيل مفاهيم مغالطة لتاريخ الامة بشكلٍ كبير .

وأما المجتمع المكوَّن من تلك الأسر " المشغولة " فلم يعد معنيَّاً بمسألة التربية العقدية أو السلوكية المستمدة من الدين ، فاكتفت المدرسة بعملية تلقين مجردة ، بمناهج مدرسية لا علاقة لها بحاجة المجتمع والأمة .

وأما وسائل الإعلام ، فقد تحولت لصراع فيما بينها ؛ لاستقطاب أكبر عدد من المشاهدين ، ببرامج موجَّهة تشبع رغبات النفس والجسد ، دون الروح والعقل ، يخرج الأبناء غير الأسوياء ناقمين على كافة الروابط الأسرية والمجتمعية ؛ ليجسِّدوا تلك النقمة بحل العقدة الأولى ، وهي : الإيمان بالله دون فهم أو وعي أو إدراك أو دراسة أو حتى اقتناع .

2. **أسباب سياسية :** تتمثل بالاستبداد السياسي الذي أغلق أبواب المستقبل في وجوه الشباب ، فقد جففت بعض الأنظمة كل أمل في تحقيق قيم العدالة والمساواة ، أو المشاركة في مواقع اتخاذ القرار وفتح مجالات الإبداع فيها .

- الاستبداد السياسي وتزييف مفاهيم التوحيد :

لقد ارتبطت مصالح المستبدّين بغياب وتشويه عقيدة التوحيد الخالص ، تلك العقيدة التي تدفع صاحبها لبذل نفسه في سبيل تحرير مجتمعه ومقاومة المستبد ، وهم حريصون على تغييب الشعوب عن ثقافتها وتشويه مفاهيمها ، فلا تنتبه الشعوب ولا تنتفض ، وبالتالي يعمُّ الترويج لمفاهيم الصبر على البلاء ، والصبر على الفقر والظلم، في مقابل دخول الجنَّة ، وإنشاء قنوات تدعِّم تلك الفكرة بشكلٍ مبالغٍ فيه ، وتعيين عدد كبير مِمَّن يسمونَّهم علماء ؛ لترسيخ تلك المفاهيم في عقول البسطاء . وقد نتج عن وجود الحاكم المستبد طابور طويل من المستبدِّين المؤثرين في تشكيل شخصية الشباب. فيصبح المجتمع عبارة عن شبكة فاسدة غير صالحة لحياة أو إصلاح ، لتكون النتيجة غضباً مكبوتاً لا يستطيع التعبير عن ذاته إلا بالهروب من الثوابت المتوارثة.

قد يتساءل البعض : ما علاقة الاستبداد بإلحاد الشباب وتركهِ للدين ومحاربتهِ للأخلاق ونبذهِ لكلِّ مظاهر الصلاح ؟

والحقيقة : أنَّ كل المعطيات التي ذكرناها ما هي إلا موطن ثري للفرار من الهوية لأيِّ هوية أخرى قد تعبِّر عن إضرامها للذات الإنسانية من وجهة نظرهِ .

[7] الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، علي بن نايف الشحود، 2019م، الباب السابع (الحضارة الإسلامية وأسباب سقوطها وعوامل النهضة بها)، ص148.
[8] الإسلام والغرب، عبد الودود شلبي، مكتبة الآداب، 2004م، ص55-56 .

إنَّ هناك مَنْ يدفع الشباب لليأس من مستقبلِهِ ، فيلجأ إما للعنف أو للمخدرات أو الهجرة أو إعلان الإلحاد ؛ رغبةً منه في التمرُّد على قيم وثوابت هذا المجتمع ، ولذلك فهي صرخة تحذير بأنَّ الشباب الذي اكتفى اليوم بإعلان تغيير هويتهِ أو الانسلاخ من ثقافتهِ لإعلان تمرُّدهِ ، هو على استعداد أن يترجم الفكر المجرَّد لفعل خطير .

3. **أسباب اقتصادية :** تتمثل باتساع دائرة الفقر ، وما يترتَّب عليه من إحباط وفوضى فكرية على كافة الظواهر الأخرى في المجتمع .
4. **ضعف الوعي الديني:** التربية الدينية التقليدية غالباً ما تكون سطحية وغير متجددة.
5. **تأثير الثقافة الغربية:** المواد الإعلامية والثقافية تشجع أحياناً على نقد الدين ورفضه يقول السيد علي المؤمن : " الغرب يحاول ترويج رؤيته المادية والوضعية ومقولاته لملء منطقة الفراغ في المجتمعات الإسلامية وتطبيقها عندهم في الحكم، وإثبات إخفاق النماذج الإسلامية المعاصرة وقصورها سياسياً وثقافياً واجتماعياً عن حل مشكلات الانسان المعاصر "[9] .
6. **ضعف المؤسسات الدينية :** ضعف قدرة المؤسسات الدينية على التواصل مع الشباب بطرق مبتكرة وحديثة .

إذن : فقد نبتت ظاهرة الإلحاد من تشابك تلك الظروف مجتمعة ، وإن كانت بنسب متفاوتة .

المطلب الثاني : التحديات في مواجهة الإلحاد :

عند دراسة الواقع الثقافي الحالي في العالم الإسلامي ، يتبيَّن مدى ما حاق بالأمة الإسلامية من تبدُّل وتغيُّر ، وما أصاب العقول والقيم الثقافية والاجتماعية و الأخلاقية بفعل الغزو الفكري والحضاري الغربي ، الذي تعرَّض له العالم الإسلامي في القرن المعاصر ، والذي بدأ التمهيد له قبل ذلك بقرنين من الزمان أو أكثر .

وكان من آثار هذا الغزو المُدمِّر هو كثرة ما يعانيه العامة والخاصة ، والشباب والكبار من مشكلات وتحديات عقدية واقتصادية واجتماعية وسياسية ، نعرض منها ما يأتي :

1. **الغزو الفكري الغربي للعالم الإسلامي :**

بدأ هذا الغزو مع بداية الاستعمار العسكري والسياسي ، بل وحتى قبل ذلك ، فقد عمل على تبديل وتغيير القيم الثقافية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية بين أبناء المجتمع الإسلامي ، وأصبحت – من المؤسف – بعض المجتمعات الإسلامية أشبه ما تكون بالمجتمعات الغربية .

وقد استعمل الغرب " التنصير " أو " التبشير " كأداة تمكِّنه من إخضاع الدول الإسلامية لنفوذهِ ؛ لكي يسهل عليه أمر استغلالها وسلب خيراتها وتسخير رجالها لخدمتهِ ، فيزداد بذلك قوَّةً وثروةً . وحتى يتمكَّن التنصيريون من تحقيق أهدافهم، فقد عملوا على معرفة أحوال البلاد الإسلامية ، والتعمُّق في أفكار المسلمين ، ودراسة مشاعرهم وعواطفهم وميولهم ؛ وبسبب مكرهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين ، بل ازداد مكرهم وتوادُّهم الظاهر إلى المسلمين ؛ بغية تحقيق ما يطمحون إليه .

وقد استخدم هؤلاء طرقٍ عدِّة ، مباشرة وغير مباشرة ، منها : إنشاء المدارس والمجلات والجمعيات ، والعلاج الطبي والتمريض ومراكز التوليد والصحة ، وإغراء النساء المحجَّبات لخلع حجابهنَّ ، فضلاً عن لجوئهم إلى تبنّي الأطفال اللُّقطاء أو الأيتام أو أبناء الأسر الفقيرة في كثير من البلدان الإسلامية . ويتبع ذلك عادةً تنصير هؤلاء الأطفال وتحوُّلهم عن دينهم .

2. **إشاعة فكرة القومية :**

إنَّ وحدة الأمة الإسلامية التي يدين لها أكثر أكثر المسلمين بالولاء والطاعة ، تعد من الأمور التي جاهد الغرب طويلاً للقضاء عليها ؛ خوفاً من الوحدة الإسلامية ، بالرغم ممَّا أصبح عليه حال المسلمين في القرون الأخيرة .

[9] الإسلام والتجديد (رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر)، علي المؤمن، ص176.

لذلك حرص الغرب على تمزيق وحدة المسلمين ، حيث قام بتشجيع الحركات القومية في البلدان الإسلامية ، ثُمَّ تطوَّر الأمر بعد ذلك إلى إثارة النعرات القومية ، التي تقوم على أساس تنحية الدين جانباً ، أو ما يُسمَّى بـ " العلمانية " والتي هي من أخطر المخاطر التي تحيق بالشباب المسلم في وقتنا الحاضر .

3. محاربة اللغة العربية :

كان من أهم أهداف الغرب هو القضاء على اللغة العربية ؛ بهدف قطع كل صلة بين المسلمين وبين كتاب الله، إذ يريدون أن يصبح كتاباً غير مفهوم، إذا – لاقدر الله – ضعفت معرفة المسلمين والعرب بلغتهم ، او هجروا الفصحى واكتفوا باللهجات المحلية .

وقد شنَّ العالم الغربي على اللغة العربية حرباً ذات شقَّين :

الشق الأول : يهدف إلى إبعاد المسلمين والعرب عن لغتهم ، ومزاحمة لغاته لها ، وبذلك يقل علمهم بها وتضعف معرفتهم لها .

الشق الثاني : يحاول الغرب بكل الوسائل إزاحة اللغة الفصحى ، وإحلال اللهجات المختلفة محلها ، بحيث لا يتيسَّر للعرب التفاهم فيما بينهم ، فضلاً عن تعذُّر أو صعوبة فهم القرآن والسنَّة النبوية ، وسائر الكتب التشريعية والتراث الإسلامي ، وكان نتيجةً لذلك أن عمد الغرب إلى فرض لغتهم في المدارس في أولى المراحل التعليمية . ومن المؤسف أنَّ هذهِ المحاولات قد لاقت استحساناً بين بعض العرب والمسلمين ، بل إنَّ الغرب حاول محولات عدَّة في إشاعة العامية في البلاد العربية الإسلامية .

هذهِ المحاربة للغة العربية، سواء كانت بهدف قطع العرب والمسلمين صلتهم بالقرآن الكريم، أو إشاعة العامية، أو التأكيد على أنَّ قواعد اللغة العربية صعبة للغاية – كما نرى اليوم – ، كانت بهدف القضاء على أهم مقومات الوحدة العربية والإسلامية .

4. تغيير نظم التعليم :

يعاني الشباب المسلم في الوقت الراهن من إزدواجية التعليم في بعض البلدان العربية والإسلامية ، وحيث أوجد الاستعمار في بعض تلك البلدان سلَّمين تعليميين غير مرتبطين ببعضهما ، حيث وجدت مدارس حديثة بتجهيزية عالية ، توصل إلى المناصب والنفوذ والثروة ، متوازية مع التعليم الديني في المعاهد الدينية والكتاتيب، والتي لا توصل إلى شيء من المناصب والنفوذ والثروة .

ورغم محاولات بعض المصلحين للقضاء على هذهِ الثنائية ، إلا أنَّ الغرب حاول بشتَّى الطرق تأكيدها وتعميقها ، كما حرص على إضعاف التعليم الديني الإسلامي والثقافة الإسلامية ، وكانت وسيلتهم في ذلك هو إخضاع التعليم والعلماء والحكومات التي كانت تؤيّدهم لسلطانهم ، مع التقيُّد في الإنفاق على التعليم ، واغتصاب أموال الأوقاف المخصَّصة للتعليم الديني .

أضف على ذلك أنَّ نظام الابتعاث إلى المعاهد العلمية في الدول الغربية أُقيم على اختيارٍ أفضل ، وتخريج الطلاب وإحاطتهم برعاية خاصة وتوجيه قوي ن وكان من نتائج ذلك : أنَّ "بعض" المبتعثين يعودون إلى بلادهم وقد تأثروا تأثُّراً شديداً بالحضارة الغربية، ويظهر آثار ذلك في أخلاقهم وأفكارهم وعاداتهم .

5. وسائط الإعلام :

لازال العالم الغربي والاستعمار الثقافي ، الذي ورثه العالم العربي والإسلامي منذ أمدٍ بعيد ، يحاول اصطناع العملاء من الحاقدين على الإسلام ، باستخدام وسائط الإعلام المرئية والمسموعة والمطبوعة ، والتي من شأنها تبلبل أفكار الشباب وتحاربهم بطرقٍ غير مباشرة ، بل إنَّ ما استحدث منها، من الفيديو والآلات السينمائية التي تستخدم داخل المنازل ، أدت إلى تيار جارف من اللامبالاة بين الشباب .

إنَّ المناخ الثقافي والفني والإعلامي، الذي يعيشهُ الطفل أو الصبي أو اليافع أو الرجل، يؤثر تأثيراً بالغاً على تشكيل عقله وتفكيره . في حين لو كان هذا المناخ صحيًّا سليماً ، يغذي النفوس والعقول بالأفكار والقيم ، ويفتح آفاقها ويشحذ إرادتها، فلا يمكن – بحال من الأحوال – أن يسود الأمة أو المجتمع رأي عام صحيح وسليم، ويقاوم الانحراف وينبذ الأنانية والتعصُّب ، ويدفع عجلة التقدُّم والبناء ، ويقف بجوار الحق والخير والعدل .

وإنَّ مهمة وسائط الإعلام في توجيهها للعامة والخاصة والصغار والشباب والكبار، ليست شغل الوقت فحسب ، بل إنَّ برامجها حتى ما كان منها للتسلية والمتعة ، يجب أن تهدف إلى الوصول إلى الفكر السليم ، وتهذيب وتقويم السلوك الاجتماعي والفردي من خلال ما يُعرَض ؛ لأنَّ التوجيه من خلال الأنشطة والبرامج الإعلامية لها إيحاء نفسي مؤثر.

إنَّ وسائط الإعلام في عالمنا المعاصر تعد سبباً من أسباب إثارة أحاسيس الشباب وتنفيرهم، وتحفيزهم أحياناً للخروج عن الضوابط الاجتماعية ؛ نتيجةً لما قد تقدمه من معلومات خاطئة غير موثوق فيها ، وما قد ينتج من ذلك من بلبلة الأفكار ن وعدم إتاحة الفرصة للتفكير البنَّاء ، والفهم الصحيح لمجريات الأمور ، الامر الذي يشتت عضد الشباب ويباعد بينهم وبين مجتمعاتهم ، ويجعلهم متمرّدين أحياناً .

فهذا الإعلام المشوَّه بات ومنذ عقود يتلاعب بعقول الشباب ويستهلك قدراتهم في الجري خلف الموضة وبرامج رياضية وتجميلية؛ من أجل تفريغ محتواهم الإنساني وإبعادهم عن دينهم[10] .

في حين أنَّ وسائط الإعلام البنَّاءة تحرص كل الحرص على إعطاء المعلومات الصحيحة الموثوقة ، سواء فيما يُنشر أو يُذاع أو يُكتب أو يُعلن ، ومن ثَمَّ فإنها تتيح الفهم الصحيح لما يجري حولهم ، والدعوة إلى الالتزام بالقيم والمعايير السليمة والتمسُّك بالعقيدة، وبذلك يستطيع أبناء الأمة – وخاصةً القوى الفعَّالة من الشباب – المشاركة البناءة ، وتنمِّي لديهم الحاسة النقدية لتمحيص كل ما يُعرض عليهم لكي لا يُخدعون.

6. الحرب العلمية والفكرية :

بدأت الحرب العلمية والفكرية ضد الإسلام منذ بدايته، فقد جاء الإسلام بدين الحق الذي نسخ الأديان كلها ، وبشريعة كاملة ألغت المذاهب والنُّظم المعارضة لهُ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فأوغر ذلك صدور المتعصِّبين الحاقدين ، وكان المسلمون أقوياء حطموا ملك الأكاسرة والقياصرة ، فلم تكن هناك وسيلة لهزيمتهم عن طريق القوة والحرب؛ ولذلك لجأوا إلى المكر والخديعة، ووجدوا أنَّ الحرب الفكرية هي وسيلتهم الوحيدة، وأندسوا بين الفرق الإسلامية يوجِّهونها توجيهاً مُضلَّاً، ويوسِّعون بذلك شقَّة الخلاف بين المسلمين .

وكان من نتيجة ذلك : الصراع بين الموالي والعرب باتخاذ طريقة الشعوبية في محاربة الإسلام، واتخاذ كل وسيلة لإيجاد الخلاف بين المسلمين، الأمر الذي تبعهُ ظهور الفرق المتعددة في الإسلام، وأثَّر ذلك على الشباب والشبيبة .

ولقد تعاونت الصليبية والصهيونية تعاوناً وثيقاً في حربهم العلمية والفكرية ضد الإسلام، وارتبط الغزو الفكري الغربي منذ بداية القرن العشرين ببعض المذاهب والدعوات الهدَّامة التي ارتبطت بالصهيونية واليهودية العالمية، والتي تعد أخطر ما يواجه شباب الأمة والعالم الإسلامي في الوقت الحاضر .

7. تغيير الأخلاق وتبديل الحياة الاجتماعية :

إنَّ تغيير الأخلاق وتبديل الحياة الاجتماعية في الأمة الإسلامية ارتبط باستخدام وسائل الإعلام والحرب العلمية والفكرية كذلك، وقد تأثر بعض العرب والمسلمين بالحضارة الأوروبية، والتي كان من آثارها : تغيير الكثير من العادات والتقاليد الإسلامية، وانتشار الكثير من الاضطرابات والاختلالات الخُلُقي، فمنهم من طالب بتحرير المرأة من الحجاب ، والدعوة إلى الابتذال والسفور، ومنهم من نادى بمشروع قانون وضعي للطلاق، يغاير ما أقرَّهُ الشرع الإسلامي .

لقد كان من حصاد تغيير الأخلاق وتبديل الحياة الاجتماعية : انتشار البِغاء والقمار والمخدرات ، كما انتشرت جوانب الإفساد الخُلُقي والانحلال الاجتماعي منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى وحتى يومنا هذا .

ومن المؤسف أنَّ الكثير من الشباب المسلم انساق مع هذا التيار الجارف، محقِّقين أهداف أعدائهم، ويحيون بذلك حياةً لاهيةً عابثةً، ينشغلون بسفاسف الأمور والتفاهات فضلاً عن المعاصي والآثام، بدلاً من الدأب والمثابرة والإعداد المستمر ليوم الجهاد والخلاص من أعداء الأمة والعالم الإسلامي.

إنَّ هذهِ التحديات للواقع المعاصر تقف حجر عثرة أمام الشباب المسلم في مدارسهم وجامعاتهم وبين أهلهم وذويهم، وفي عملهم وحياتهم بصورة عامة، مِمَّا يترتَّب على ذلك كله مشكلات أخرى تُعرف بمشكلات (التكوين النفسي) في مرحلة الشباب[11].

[10] التغريب في ديار الإسلام، محمد حسن يوسف، ص30.

[11] مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، جمادي الأولى – جمادي الثانية : 1430هـ / مايو – يونو 2009م .

المبحث الرابع : بيان أهم سبل تعزيز التوحيد وكيفية مواجهة الإلحاد

رغم تلك التحديات، إلا أنَّ هناك حركة واعية بين الشباب نحو تجديد الدين ، لعب الشباب دوراً فيها من خلال المساهمة في بناء الذات والمجتمع ، وإحياء مقاصد العقيدة والعودة إلى الثوابت، فنجد مبادرات شبابية للتعليم الديني والوعي بالعقيدة من شأنها أن تعزّز مفهوم التوحيد، منها :

1. **تعزيز الثقافة الدينية:** من خلال البرامج التعليمية والدورات التدريبية .
2. **استخدام الإعلام ووسائل التواصل:** لنشر محتوى ديني جذاب ومؤثر .
3. **دور الأسرة والمدرسة والمجتمع:** في تربية الشباب على القيم الدينية والأخلاقية.
4. **وقوف الشباب ضد الصورة التقليدية الجامدة:** والبحث عن معنى أصيل للدين، وليس مجرد تقليد [12] . أمثلة ناجحة : مبادرات تعليمية وثقافية ، مثل : المخيمات الصيفية الدينية والمسابقات الثقافية للشباب .

كما أنَّ هناك عوامل أخرى تساعد الشباب على مواجهة الإلحاد والحد من انتشارهِ، من أهمها :

1. **التعليم العقدي المنهجي والمفتوح :** عندما يُعطى للشباب فهماً واضحاً للتوحيد ومعناه في الحياة .
2. **مناخ حرّ للفكر ضمن إطار إيماني :** يتيح للشباب أن يسأل، يبحث، يناقش، ويتبنَّى بدلاً من أن يُفرَض عليه الدين فرضاً .
3. **ممارسة عملية للدين :** كإقامة مشروع اجتماعي أو خدمة مجتمعية؛ ليشعر الشباب المسلم أنَّ الدين ليس مجرد شعارات، بل تجربة إنسانية .
4. **الطاقات الشبابية وتوظيفها في العمل الدعوي :** مِمَّا يساعد على ترسيخ شعور الانتماء .

إنَّ علاقة الانسان بالدين تبدأ بالإنسان، فهو الذي شرَّفه الله تعالى بالعقل، وجعله خليفة في الأرض؛ ليقيم العدل والحق، ويسير في سلوكه بتوازن واستقامة، ويخلع عن نفسه النزعات الشريرة من الأنانية والطمع والظلم ، ويرتدي رداء التقوى والإيمان، ويتحلَّى بالفضائل والآداب، وإنَّ الشباب المسلم اليوم هو الأمل في بعث الأمة الإسلامية واستمراريتها [13] .

الخـــاتمـــــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، والصلاة والسلام على خير خلقهِ سيِّد البريَّات ، محمَّد بن عبدالله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد .....

فقد عرفنا ظاهرة الإلحاد ، وعرفنا أسبابها ، وشرحنا آثارها المدمِّرة في نفس الإنسان ومجتمعه، وأيضاً كيفية علاج تلك الظاهرة ، وهنا نقول : إنَّ الإسلام دينٌ جاء لخير الإنسان على هذهِ الأرض وإسعادهِ فيها ، وهيَّأهُ لسكنى الجنَّة دار السعادة الأبدية ، وقد كفل العلاج الناجح المستأصل لهذهِ الظاهرة الخطيرة .

إنَّ هناك سبباً، بل أسباباً لانحراف الكثير من الشباب عن الدين؛ وذلك نتيجة التصورات الخاطئة والمشوَّهة التي غرسها الأبوان اللذان لا يمتلكان معرفة صحيحة حول المفاهيم الدينية، ومن الواضح أنَّ الانسان حين ينضج عقلياً ويتعرَّف على المنجزات العلمية والمنطقية، فلا يمكنه أن يتقبَّل مثل هذه التصورات والمفاهيم المشوَّهة غير المعقولة وغير المنطقية، لذلك امتلأت أذهانهم – في مجال المسائل الدينية – بالكثير من التصورات والمفاهيم الخاطئة، وهي التي دفعتهم إلى التشكيك في الدين والإعراض عنه وبالتالي الإنحراف أو الإلحاد . ومن هنا يلزم علينا بذ جهوداً كثيرة وجبَّارة؛ من أجل عرض الصورة الصحيحة للأصول والمسائل الدينية .

إنَّ الشباب المسلم اليوم يعيش بين تيارات الإيمان والإلحاد ، متأثراً بعوامل اجتماعية وثقافية وسياسية ، وإنَّ مواجهة الإلحاد وتعزيز التوحيد يحتاج لتضافر جهود الأسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية ، واستخدام الوسائل الحديثة بشكل إيجابي ، وتظل مرحلة الشباب فرصة ذهبية لغرس القيم الدينية والفكرية السليمة ؛ لضمان مجتمع مسلم متماسك ومؤمن .

---

[12] مقال (حوار العلماء مع الشباب) .

[13] مقال (الشباب المسلم والتحديات المعاصرة) . ينظر : شبابنا المسلم بين اللادين والإلحاد واللاهوية الدينية ، دراسة تحليلية قرآنية، أطروحة دكتوراه، م.م. علي يوسف عبدالزهرة، ص 542.

النـــــتـــــائـــــــج

1. الإلحاد هو : إنكار وجود الله ، والقول بأنَّ الكون وُجِد بلا خالق ، أو أنَّ المادة الأزلية الأبدية هي الخالق والمخلوق في ذات الوقت .
2. من أهم أسباب الإلحاد في العصر الحاضر هي الكنيسة الأوروبية ومظالم العالم الرأسمالي ، وظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية واقتران الإلحاد بالقوة المادية ، وضعف النظام التربوي .
3. إنَّ الآفات المستشرية في المجتمع إن لم تُعالَج فقد تؤدي إلى أمر لا يُحمَد عقباه .
4. يعد النفور الفكري ظاهرة مركَّبة لا تتوقف على سبب واحد؛ لأنَّ أسبابها متنوعة ومتداخلة، منها ما هو ديني، سياسي، اجتماعي، اقتصادي، أو نفسي، ومنها ما هو خليط من هذا كلِّه، وقد يكون السبب ذاتياً مرتبطاً بالشخص المنحرف فكرياً، أو مرتبطاً بأسرتهِ ومحيطهِ .

الـــتـــوصـــيـــات

بناءً على ما سبق أوصي بما يأتي :

1. أن يلتفت حكَّام وولاة أمر المسلمين إلى ما يحاك لهذهِ الأمة من مكائد ، وأن يبذلوا ما في وسعهم للحيلولة دون ذلك ، وتحصين شباب الأمة من الوقوع في مستنقعات الإلحاد.
2. أن تهتم وزارات التربية والتعليم العالي في كافة الدول الإسلامية بتربية العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس المُتعلِّمين .
3. الاستفادة من وسائل الإعلام ووسائل التواصل في نشر محتوى إسلامي عصري يجذب الشباب، ويجيب على أسئلتهم .
4. عقد ندوات ودورات يقوم بها الدعاة وعلماء المسلمين ؛ لتوضيح شبهات الإلحاد المعاصر ، ومن ثَمَّ الرَّد عليها بالأدلة العقلية والأدلة الإسلامية .
5. الحل الجذري لكافة الإشكاليات ، ووضع حلولاً أمميَّة وليست إقليمية ، يتضافر عليها كل علماء الأمَّة ؛ ليكونوا بمثابة عقل استراتيجي لتصحيح المفاهيم والثوابت .
6. الدعوة لتصحيح منهجية التعليم وبناء مؤسسة جديدة ، أو تطوير المؤسسات الحالية لتشمل عقولاً في تخصصات مختلفة غير مكتفية بعلماء الفقه والشريعة ، لعلَّها تكون خطوة أولى لعملية تصحيح مسارات كبرى [14] .

فهرس المصادر

القرآن الكريم.
المؤمن، ع. (د.ت.). الإسلام والتجديد: رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر.
شلبي، ع. الودود. (2004). الإسلام والغرب. مكتبة الآداب.
المحمدي، ع. ع. س. (2013). الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه: دراسة تحليلية (رسالة ماجستير).
يوسف، م. ح. (د.ت.). التغريب في ديار الإسلام.
الشحود، ع. ب. ن. (2019). الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل.
حوار العلماء مع الشباب. (د.ت.).
مختار، ع. (د.ت.). الشباب المسلم بين ظاهرتي الإلحاد والاستبداد.
الشباب المسلم والتحديات المعاصرة. (د.ت.).
عبد الزهرة، ع. ي. (د.ت.). شبابنا المسلم بين اللادين والإلحاد واللاهوية الدينية: دراسة تحليلية قرآنية (أطروحة دكتوراه).
مسلم، م. بن الحجاج. (د.ت.). صحيح مسلم.
مجلة الداعي. (2009، مايو–يونيو). مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، جمادى الأولى–جمادى الثانية، 1430هـ.
مجلة المجتمع. (د.ت.). مجلة المجتمع. https://mugtama.com

[14] https://mugtama.com